تصرفات الرياض البلطجية في المنطقة

فإن قصة وزير الإعلام اللبناني جورج قرداحي الذي انتقد الغزو العسكري للتحالف بقيادة الرياض لليمن وانسحاب سفراء السعودية والإمارات والبحرين والكويت من بيروت ثم استقالة قرداحي تحتوي على نقاط توفر فهماً أفضل للسياسة السعودية في المنطقة.

احتج وزير الإعلام اللبناني السابق على استمرار الحرب اليمنية في برنامج تلفزيوني عندما لم يكن وزيرا بعد. مثل أي شخص عادي يمكنه التعليق على أي قضية ولم يكن هناك قلق بشأن العواقب الدبلوماسية لكلماته على بلاده، كان قرداحى قد عبر عن رأيه كناشط إعلامي. لكن تم نشر مقطع فيديو لخطابه قبل شهرين على نطاق واسع، وشن السعوديون حرباً دبلوماسية ضد لبنان. مثل هذه التصرفات نادرة في عالم العلاقات الدولية، لدرجة أن وزير الخارجية اللبناني عبد الله بو حبيب أعرب عن استغرابه من شدة تصرفات حكومة الرياض، قائلاً إنه لم يعتقد قط أن السعوديين سيظهرون مثل هذا الرد، وأن "قمع السعودية". لم يعتقد قط أن السعوديين سيظهرون مثل هذا الرد وأن "ظلم السعودية" كان غير مفهوم له. أي، إذا انتقد الرئيس أو رئيس الوزراء أو وزير الخارجية الرياض، لكان بإمكاننا الاحتفاظ بحق السعوديين في الاحتجاج، لكن كلام المواطن العادي ليس له عواقب دبلوماسية في أي مكان في العالم.

لكن رحيل سفراء دول الخليج العربية من بيروت لا علاقة له بكلمات قرداحي، ويمكن العثور على سبب هذا الإجراء المتسرع وغير المهني للسعوديين في كلمات وزير الخارجية السعودي "فيصل بن فرحان". وقال في مقابلة على هامش قمة العشرين "بالنسبة لنا، هذا أكثر من مجرد تعليق لوزير، بل هو انعكاس للوضع في لبنان".

كان واضحا منذ البداية أن كلام شخص غير حكومي لا يمكن أن يزعج السعوديين إلى هذا الحد، وهذا في الأساس شيء آخر. والنقطة أن السعوديين بكل جهودهم وخططهم، من سجن "سعد الحريري" رئيساً لوزراء لبنان حينها إلى إعلان حزب الله منظمة إرهابية، لم يحققوا شيئاً الآن في هذا البلد. الحكومة تتشكل وتواصل العمل بتفاهم واتفاق داخليين، والسعوديون لا يرون لأنفسهم في هذه الحكومة أي مكان. صرح وزير الخارجية السعودي صراحة أن لبنان الحالي ليس في مصلحة السعودية وأن لبنان لن يتبع السياسات السعودية طالما أن حزب الله موجود.

وأوضح "لقد قررنا أن هذا التفاعل غير بناء أو مفيد في هذه المرحلة الزمنية انها حقا ليست في مصلحتنا. أعتقد أنه من المهم أن تجد الحكومة اللبنانية طريقاً للمضي قدماً بتحرير لبنان من الوضع الراهن؛ "الهيكل السياسي الذي يقوي هيمنة حزب الله". قال فيصل بن فرحان إن الهيكلية الحكومية والسياسية الحالية في لبنان لا تعمل لصالح الشعب، إنه يقصد الناس صراحةً لصالح حكومة الرياض. قال جورج قرداحي أواخر الشهر الماضي: "الجميع يعرف الآن أن المشكلة الحالية تتجاوزني كثيراً وتتعلق بموقف السعودية من دور حزب الله في لبنان والمنطقة، كما أوضحت ذلك الرياض نفسها عدة مرات".

صاخبة ولكنها غير مثمرة

التقى الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، أول مسؤول غربي رفيع المستوى منذ اغتيال جمال خاشقجي، بمحمد بن سلمان في جدة يوم السبت، وأفادت مصادر إخبارية غربية، بما في ذلك الفايننشال تايمز، أن الرياض عادت إلى بيروت بعد موافقة جورج قرداحي على الاستقالة. وكتبت بعض المصادر أن السعوديين أصروا على أن يسافر ماكرون إلى السعودية لحل الأزمة اللبنانية لكسر الحظر الدبلوماسي على عدم زيارة القادة الغربيين للرياض، والذي فُرض بعد اغتيال خاشقجي. سفير الرياض سيعود في نهاية المطاف إلى بيروت، لكن هل توقف حزب الله في لبنان عن العمل؟ هل لم يعد في الحكومة؟ لماذا على السعوديين، الذين أعلنوا مشكلتهم الرئيسية حزب الله، أن يستأنفوا الآن العلاقات الدبلوماسية مع لبنان؟ ولم يكتفِ بأن حزب الله اللبناني لم يُطرد من السلطة في لبنان، بل قال الرئيس ميشال عون، لموقع الشروق القطري يوم الأحد (أمس): "في الواقع، الوضع في لبنان يحتاج إلى استقرار داخلي، وقد كان حزب الله ملتزما بكل

ما يطلب منه، وأضاف أن "حزب الله ملتزم التزاما كاملا ببنود القرار 1701 الذي اتخذ خلال رئاسة قطر لمجلس الأمن".

صورت جميع تصرفات الحكومة السعودية في السنوات الأخيرة في المنطقة، الرياض على أنها لاعب غير عقلاني وغاضب ومحبط. قصة جورج قرداحي ليست أول مثال على ذلك في لبنان. في 19 أيار، تعرض وزير الخارجية اللبناني شربل وهبة لضغوط للاستقالة بعد الإدلاء بتصريحات حول اغتيال جمال خاشقجي، ونادرًا ما يُرى هذا المستوى من التدخل العلني في الشؤون الداخلية لدولة أخرى. وبلغت ذروة هذه التدخلات اعتقال رئيس الوزراء اللبناني آنذاك سعد الحريري لمدة 18 يومًا في الرياض في تشرين الثاني / نوفمبر 2017، مما أجبره على الاستقالة. كل هذا التدخل الفاضح والغريب في الشؤون الداخلية للبنان بينما السعوديون يتهمون باستمرار إيران بالتدخل في الشأن اللبناني، بينما لو نفذت إيران واحد بالمائة من الإجراءات التدخلية السعودية في لبنان، لكان هناك دعاية واسعة الانتشار في جميع أنحاء العالم. يشار إلى أن هذه التدخلات في المنطقة على المستوى الكلي، مثل الدخول في الحرب اليمنية وإجبار وزير داخلية بلد آخر على الاستقالة، لا تنتهي بأهداف الرياض.

عاد المحور السعودي في قضية حصار قطر الذي دام ثلاث سنوات ونصف، أخيرًا لمد يد الصداقة إلى الدوحة. لم ينفذ القطريون أيًا من هذه الشروط الـ 12 المزعومة. وكان سبب انتصار قطر في تلك الحملة وموقفها ضد السعودية والإمارات تماسكها الداخلي، وقيادة موحدة وأصدقاء مقربين في الدوحة، بمن فيهم إيران وتركيا، وكذلك معارضة الولايات المتحدة لحصار قطر. النقطة هي أن الجزيرة كانت قد تحدثت مرارًا عن عدم جدوى الحرب اليمنية في تقاريرها وأخبارها، كما أشار جورج قرداحي، لكن السعوديين تجاهلوها حتمًا. ومن الأمثلة على ذلك فعالية سياسات الرياض في المنطقة في السنوات الأخيرة. من التورط الواسع في الأزمة السورية، والحرب في اليمن، وحصار قطر، واعتقال سعد الحريري، إلى إجبار الوزراء اللبنانيين على الاستقالة، لم يحقق أي من هذا هدف السعوديين.

يمكن للرياض أن تقول إنه بفضل دولارات النفط والمشتريات العسكرية الضخمة، لا يزال بإمكانها أن تقف إلى جانب الحكومات الغربية؛ لكن السعوديين، بالإضافة إلى تحول الرأي العام العالمي ضدهم بسبب القمع الداخلي والحرب اليمنية، فعلوا أسوأ ما في وسعهم في السياسة الإقليمية.